القلب المطمئن في القرآن الكريم



◄(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد/ 28). الاطمئنان بمعنى سكون النفس، ثمّ الإيمان با لا يعني الاعتقاد بوجوده وحسب، فإنّه من الناس: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) (النمل/ 14). فإنّ الإيمان بوجود ا يجتمع مع الإنكار والجحود، وهذا يعني أنّ الإيمان ليس الإدراك فقط، بل عقد القلب بما يعلمه ويدركه فينشرح صدره، كما في قوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) (الأنعام/ 125). فالمؤمن يطمئنّ قلبه بذكر ا سبحانه، ويخلص من الاضطراب والقلق، وأمّا الخوف من ا فهو يعني الخوف من أعمالنا القبيحة ومن الذنوب التي يرتكبها الإنسان، فإنّ الخوف منشؤه حدوث شرّ في المستقبل. فإذا ذُكّر المؤمن بآيات ا وجلّ قلبه خاف من مصيره، وحينما يذكّر بنعم ا ورحمته فإنّه يطمئنّ قلبه وينيب إلى ربّه، فمن يتوجّه إلى ثواب ا وسعة رحمته فإنّه يسكن قلبه، ويأمل رحمة ربّه، ويركن إلى سعة فضله، فيطمئنّ قلبه وتسكن نفسه، فمن أحسّ وتذكّر ذنوبه فإنّه يضطرب ويأس إلّا أنّه حينما ينظر إلى رحمة ا وغفرانه، فإنّه يسكن ويرتاح. وذكر ا يسكّن آلام القلوب، ومن مات قلبه بالذنوب والمعاصي فحياته بذكر ا وجلاء قلبه بذكر ا، فذكر ا نور ونار، ومن اشتاق إلى رحمة ربّه، فإنّه يدفع عن نفسه اليأس والاضطراب ويزداد إيماناً ويقيناً، كما في قوله

تعالى في قصّة إبراهيم الخليل (ع) لمّا اُخبر بالخلّة فطلب منه سبحانه أن يحيي له الموتى، فقال: (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (البقرة/ 260). وقال سبحانه: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) (الفتح/ 4). ومن علائم الإيمان زيادته الصبر، كما في قوله: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) (الأحزاب/ 22). ومن علائمه معاداة أعداء ا حتى لو كان أقرب الناس إليه، كما في قوله: (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) (المجادلة/ 22). وهو روح الإيمان، وقوله: (بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)، يدلّ على أنّ الإيمان واليقين قابلان للشدّة والضعف، قال الطبرسي: بلى أنا مؤمن، ولكن سألت ذاك لأزداد يقيناً إلى يقيني، وقيل: لاُعاين ذلك ويسكن قلبي إلى علم العيان بعد علم الاستدلال، وقيل: ليطمئنّ قلبي بأنّك قد أجبت مسألتي واتّخذتني خليلاً كما وعدتني. وقوله: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ) (الفتح/ 4)، هي أن يفعل ا بهم اللطف الذي يحصّل لهم عنده من البصيرة بالحقّ ما تسكن إليه نفوسهم، وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الأدلّة الدالّة عليه، فهذه النعمة التامة خاصة بالمؤمنين، وأمّا غيرهم فتضطرّ نفوسهم لأوّل عارض من شبهة ترد عليهم ولا يجدون لردّ اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم، وقيل: هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ويثبتوا في القتال وتحمّل المشاكل والمصاعب من أجل ترويج الدين وإعلاء كلمة الإسلام والمسلمين. الكافي، بسنده عن أبي خديجة، قال: دخلت على أبي الحسن (ع) فقال لي: إنّ ا تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه تحضره في كلّ وقت يحسن فيه ويتّقي وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد ا نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم ا امرئً همّ بخير فعمله، أو همّ بشرّ فارتدع عنه، ثمّ قال: نحن نؤيّد الروح بالطاعة والعمل به. في نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين عليّ (ع): "إنّ الإيمان يبدو لمظة في القلب، كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة". اللمظة: البياض. كما أنّ الإيمان ربما يكون مستودعاً كما في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) (الأنعام/ 98). (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) (الروم/ 10). قال أبو

عبدا (ع): "ومنهم من يعير الإيمان عارية، فإذا هو دعا وألحّ في الدعاء مات على الإيمان".► المصدر: كتاب حقيقة القلوب في القرآن